صدى الحرية

❋أسبوعية❋ ثورية ❋ اجتماعية
❋ توعوية ❋ منوعة ❋

للتواصل وإرسال المشاركات:
Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

ليسوا أرقاماً....
مسار الثورة بين التوحيد
قيود دمشق
الأحبة يغتربون
بورصة تجارة الأسد
إلى رحمة الله..

صدى الحرية
العدد 74
الجمعة 22
آب 2014

ليسوا أرقاماً...

لا يكاد يخلو حديث الناس في الشارع عن واقع المجتمع السوري اليوم، وحاله المتردية بدءاً من المستوى الفردي فالأسري، وحتى على صعيد الحي الواحد، وهو عكس ما اعتدنا مشاهدته في التلفاز طيلة السنوات التي سبقت الثورة، حتى تحولت الأنظار عن الهدف الأساسي لقيام الثورة، المتمثل بإسقاط النظام إلى صورة أخرى وهمٍ آخر، هو بناء مجتمع سليم، غير أن ذلك في مثل هذه الأيام يعتبر بناءً على أنقاض متفككة، من الصعب الصعود بها نحو قمة البناء، ولعل الدلائل والمؤشرات على هذا واضحة لا يمكن غض الطرف عنها، بل من الضرورة بمكان ايجاد مخرجٍ حقيقي لحالة الدوران في الحلقة المفرغة، إذ إن التغيير لا بد أن يبدأ من محاربة الفساد المستشري والذي بدأ بعضه يظهر في صفوف الثوار، أولئك الذين تحولوا من مفهوم الثورة إلى مفهوم الثروة، والحرب هنا ينبغي أن تكون على مستويين اثنين، أولاهم محاربة النظام وإسقاطه حتى من داخل كل واحدٍ منا، والثاني إزاحة المفسدين من الدرب، وهؤلاء هم الزبد الزائل.لقد شكل الابتعاد عن جوهر الثورة ومنهجها، تشويهاً في أفكار البعض، وكان دافعاً في ابتعادهم عنها، وإن لم يكن ذلك مبرراً، وكما قلنا دائماً إن لهاث البعض وراء الثروة التي بات من السهل الحصول عليها في هذه الآونة، مع سطوع نجم تجار الحروب، وهي ليست القاعدة، فرغم الأخطاء التي قد تحدث بين الفينة والأخرى يجب أن يبقى الأصل هو محاولة إعادة الثقة بالثوار، وهو دأبُ ثوار المدينة الشرفاء هنا.فما السبيل للنهوض من الكبوة؟ إنه يكمن بتصحيح مفاهيمنا وأولها ((الجهاد))، الفرض الذي أهملناه، بل وربما شوهته تأويلاتنا له، تخلينا عنه وعملنا بعكسه فآلت الأمور لما صرنا إليه، وما إن نسارع في تخطي أخطائنا حتى نرى الثمرة، وإذا كنا قد تحدثنا في الأسبوع الفائت عن بعض هموم الناس في المدينة والتي لمسناها من خلال معايشتنا الفعلية لها، فقد طرحنا يومها فكرة تسيير دوريات لمراقبة الأسعار، لكننا أهملنا حقيقةً مفادها الخوف من تسلط هؤلاء المراقبين، لنصبح ضمن حلقةٍ مفرغة، لكننا نرى الحل الأفضل في انتخاب هؤلاء من قبل وجهاء المدينة، ووضع آلية لمحاسبتهم في حال ثبت تجاوز البعض منهم.

تبقى إمكانية السيطرة على أي تجاوزات رهناً بالتعاطي الفعلي معها، والإحساس بضرورة تطبيق ما يمكن الاتفاق عليه في هذا الإطار، على أننا نؤكد أن الوازع الأخلاقي النابع من وعيٍّ للإسلام، هو وحده المسيطر في ظروف كالتي نعيشها، وما إن يختفي هذا الوازع حتى تنتشر الفوضى، إذ إن غياب القانون والدولة يؤدي دور المقدمة لنتائج الفوضى التي يحاول النظام نشرها، على الأقل حتى يطيل من زمن بقائه، فميلشياته مستفيدة مما يحصل على الأقل من الجانب المادي، فالمشكلة الواجب رعايتها والعودة لها هي إسقاط النظام أولاً والكف عن أي نظرة ثانوية بعيدة عن هذا الهدف.

ونحن اليوم نستذكر مجزرة الكيماوي في الغوطة الشرقية، ولسنا هنا بصدد البكاء، بل وليس للتذكير بأن العالم تخلى عنا، فهو أساساً ليس معنياً إلا بمصالحه، لكننا نتذكر أن مدينةً صغيرةً مثل قدسيا فتحت أحضانها لاستقبال الناجين من المجزرة، لكن هذا السلوك بقي في إطارٍ ضيق، وأصابه بعض الشوائب. التي لم نتخلص منها بعد. ليسوا مجرد أرقام... عبارةٌ رنانة لا تخلو من الوفاء للشهداء، لكنها لا ينبغي أن تكون الأصل، بل هي الفرع المنبثق عن معنىً أشمل وأوسع ، هو نصرة الأخ المظلوم كما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بالأفعال . هذا يضعنا أمام مسؤولية كبيرة أمام الله، ويمنحنا الدافع لتخطي كل أشكال التجاوزات التي حولت أحاديث الناس عن رؤيتهم الصحيحة للثورة، ووجهتهم باتجاهٍ آخر ثانوي، كنا بغنىً عن الحديث عنه على الأقل حتى إسقاط النظام.

قيود دمشق

تتسم الأجواء العامة في العاصمة السورية دمشق هذه الأيام بشيءٍ من الهدوء، الحركة شبه الطبيعية عادت إلى شوارع المدينة الرئيسة والفرعية، إحساس الناس بالأمان المؤقت ارتفع منسوبه نسبياً، ارتياد المقاهي والمطاعم والأماكن العامة ازداد مؤخراً، وخصوصاً خلال أيام العيد، حركة الأسواق شهدت تحسناً ظاهرياً ملموساً، دون أن ينعكس ذلك بنتائج حقيقية على الوضع الاقتصادي العام، الذي لا زال يشهد تدهوراً مضطرداً، القدرة على التنقل والتحرك أصبحت ظاهرياً أسهل، وإمكانية الوصول إلى مناطق وأماكن كان متعذراً الوصول إليها في أوقات سابقة شهدت تحسناً ملحوظاً، السفر والانتقال إلى خارج العاصمة ـ ما عدا إلى الريف الدمشقي والشمال والشرق ـ أصبح أيسر أيضاً، ويحاول الكثيرون التأقلم مع الوضع ويجهدون لمتابعة حياتهم بأكبر قدرٍ ممكنٍ من ''الطبيعية''، داخل المدينة أُزيلت عدة حواجز من بعض الطرقات والساحات، مما أعطى شعوراً بالارتياح لرواد المدينة وزائريها، وخصوصاً من مؤيدي النظام، الذين اعتبروا ذلك دليلاً على اقتراب النظام من الانتصار والحسم، بينما يختبر المعارضون إحساساً متناقضاً حيال الأمر، فهم من جهة يشعرون بالارتياح لإزالة تلك الحواجز، ومن جهةٍ أخرى يشعرون بالخوف و التوجس من الأبعاد التي تنطوي عليها مثل تلك خطوة، وقد يشكل ذلك التناقض امتداداً طبيعياً لحالة انقسام الناس في الداخل على كل شيءٍ، فمع بداية الثورة انقسم السكان إلى معسكرين متصارعين، ولم يعد ذينك المعسكرين يلتقيان على أي مشروعٍ، أو هدفٍ، وانفرط ما كان يجمعهما من روابط، وجوامع، ومشتركات، بما يوحي بأنهما ما كانا في يومٍ شعباً واحداً لدولةٍ واحدةٍ، ولم يوجدا إلا كأعداء أزليين.

كانت الحواجز التي أقامها النظام منذ الأيام الأولى للثورة داخل القرى والمدن، وعلى الطرقات الدولية والداخلية، إحدى أهم الأدوات المستخدمة لإخماد شرارة الثورة، ذلك أن تلك الحواجز التي كانت وظيفتها الأولى منع الناس من التوجه إلى الساحات الكبرى للتظاهر أو الاعتصام، ما لبثت أن تحولت وظيفتها بعد مرور الوقت، وبعد سقوط شرعية النظام، وتعطل مؤسساته، وضياع هيبته، بسبب ما قام به من قتلٍ واعتقالٍ وتعذيبٍ لمواطنيه الثائرين، وبسبب دخول البلاد في أتون الحرب الأهلية، إلى وظيفة إثبات وجود النظام واستمراره، فضلاً عن حمايته من مواطنيه المتآمرين، وبذلك غدت تلك الحواجز والمفارز العسكرية رمز بقائه العلني، وأكثر من ذلك تبدو الحواجز اليوم وكأنها هي النظام نفسه، فالنظام هو

مجموعة تلك الحواجز المنتشرة في طول البلاد وعرضها، وبسقوطها، أو بزوالها يُرجح أنه لن يكون للنظام أي وجودٍ يُذكر.

على أن الحواجز أيضاً هي ليست نقاط التفتيش، المكونة من عناصر الأمن، ومجندي الجيش، ومتطوعي اللجان الشعبية، المكلفين التدقيق في البطاقات الشخصية، وتفتيش العابرين، والسيارات، والتي مهمتها تقطيع أوصال البلاد، وتسهيل السيطرة على المدن، وحصار المناطق، والتضييق على المواطنين، وتركيعهم وإذلالهم، فالحواجز انتقلت من الشوارع والطرقات لتستعمر النفوس وتحتلها، الحواجز النفسية، والسياسية، والاجتماعية، والطائفية القائمة بين السوريين اليوم، أكبر بكثير من تلك الموجودة على الطرقات، ولا يعلم أحدٌ بعد كيف يمكن تجاوز أو إزالة تلك الحواجز التي أظهرت الثورة شدة عمقها، وعنف تجذرها داخل المجتمع، ولا شك أن النظام استفاد من وجود التناقضات السياسية والاجتماعية، فعمل على مضاعفتها، واستغلالها بكل الوسائل، لتتحول التمايزات والاختلافات الطبيعية الموجودة عند أغلب الشعوب، إلى أسوارٍ شاهقةٍ تحمي النظام الذي يستمر بلعبه على تناقضاتها، وبدفعها إلى حواف الصراع.

وكان أن استجابت لأهواء النظام مجموعات سكانية متمايزة ثقافياً واجتماعياً، فكونت كتلة صلبة من المؤيدين لسياساته، والمراهنين على دوره كحامٍ مفترض لحياتهم وأدوارهم، في وجه كتلة أخرى لا تحوز مثل ذلك التمركز والانضباط، وليس لها شكل متماسك، وإنما جمعت مكوناتها رغبة حقيقية بنيل الحرية، والانعتاق من استبداد النظام، وقد يكون لغياب التماسك المركزي، وافتقاد الانضباط، عن مجموعات معارضي النظام دوراً مهماً في عدم تحقيقها لأهدافها حتى الآن.

يتجلى الاختلاف على المستوى الشعبي بين أفراد المعسكرين السوريين المتحاربين اليوم في العديد من المظاهر والنواحي، ويمكن من خلال متابعة بعض النقاشات والأحاديث التعرف على جزء منها، فمثلاً ينشغل أغلبية أنصار وجمهور المعسكر المعارض بالحديث عن السفر والهجرة، وبالبحث عن أسرع الطرق، وأوفرها للوصول إلى الدول الأوروبية، وغيرها، بينما لا يشكل الكلام عن تقدم ''داعش'' واقتراب خطرها إلا فرصةً للتندر، والسخرية في أحسن الأحوال، ولا يكاد ما يجري في الشمال والشرق السوري يشغل حيزاً معتبراً من نقاشاتهم اليومية، بينما يشكل ذات الأمر مادةً دسمةً لا يكاد يخلو منها أي حديثٍ لأنصار المعسكر المؤيد للنظام، حتى يمكن أن يخرج من يحادثهم ويتفاعل معهم بنتيجةٍ مفادها أن ''داعش'' باتت هاجسهم الوحيد، ويحظى ذلك الموضوع عندهم بكل عناية، واهتمام، ومتابعة، وإن شكلت المبالغات، والتهويلات، والأخبار الكاذبة سنداً أساسياً لأغلب مقارباتهم للموضوع، وقد غطت أخبار التنظيم المذكور على كل ما عداها من مواضيع لديهم، حتى أنها تغطي على أخبار انتصارات النظام الأخيرة، في مقابل عدم اهتمامهم الملحوظ بقضايا الهجرة والسفر، والذي يبدو أنه لا يحتل ذلك الموقع المتقدم لديهم.

ولا شك أن الأسباب والدوافع التي تجعل الطرفين يهتمان بأمورٍ ويُهملان أخرى، متنوعةٌ ومتعددةٌ، ولها جذورها وأسانيدها القريبة والبعيدة، ولكن ليس منها بأي حال تمتع المؤيدين بالمشاعر الوطنية، ولا حرصهم على مصلحة البلاد، ولا انعدام الوطنية لدى المعارضين الساعين للسفر، على ما قد يتخيل من يتابع تلك الصورة.

وبكل الأحوال لا يتوقع أن تزول أيٌ من الحواجز القائمة في النفوس، أو في الطرقات، ولا أن يقترب المعسكران من بعضهما، ما لم يتوصلا إلى قناعةٍ بأنه لن يمكن هزيمة ''داعش''، ولا إيقاف الهجرة، ولا انتهاء القتل، إلا بأيديهما، وعن طريق التواصل والحوار، والتوافق على تسوية تطوي الكثير من المآسي الماضية، وتفتح معبراً ولو صغيراً إلى مستقبلٍ يرجو الجميع أن يكون خيراً من هذا الواقع الأليم.

بورصة تجارة الأسد

بعد مرور ما يزيد على ثلاث سنوات ونصف من عمر الثَّورة بات نظامُ بشار الأسد أسوأ حالاً، لأنَّه لم يستطع أن يفيَ بوعوده التي قطعَها لأنصاره بالقضاء على الثَّورة بعد كلّ هذه المدَّة الطَّويلة على الرغم من وحشيته في ذلك، في حين تتدهور البلاد كل يومٍ إلى مصير أسوأ ممَّا كانت عليه من قبل، كذلك نجد أن جيش الأسد يتقدَّم ليكسبَ أرضاً ثمَّ يعود ليخسرها من جديد، ومثل هذه الاستراتيجيَّة التي يسمِّيها الأسد (انتصارات) ويصدقُّه أنصاره فيها، هي في حقيقة الأعراف العسكريَّة (هزائم حقيقيَّة) لأنَّها تنقلبُ بعد ذلك إلى هزائم حينما يخسر النِّظامُ مرَّةً أخرى ما كان قد سيطر عليه من قبلُ، وذلك بعد أن تنحسر المعركةُ عن قتلى النِّظام الكثيرين، وإنَّ هذه الانتصارات الوهميَّة هي في **بورصة تجارة الأسد بدماء أنصاره من أجل أن يَضْمَنَ لنفسه مزيداً من الوقت في كرسي الرئاسة**، ومن يراجعْ أرشيف انتصارات الأسد خلال ثلاث سنوات ونصف مضَتْ يعلم أنَّه يسعى فقط إلى أن يطيل عمر بقائه في السُّلطة بعد أنْ أخفقَ في القضاء على الثَّورة التي اشتعلت ضدَّه، فهو منذ ثلاث سنوات ونصف لم يستطع أن يسيطر على الغوطة القريبة من دمشق وما إنْ يكسب أرضاً في معركة حتى يخسرها من جديد، فمثلا نجد أن (يبرود) التي دخل إليها جيش النظام خسرها من جديد، وخسر نفوذه في القلمون، والآن استولى على أجزاء من المليحة، وصدِّقوني أنَّه سيخسرها عن قريب، وقد كان الثمنُ في ذلك كلّه تجارته بدماء أنصاره التي ذهبت هباء مُنْبَثّاً في انتصارات وهميَّة تنقلب إلى خسارات، فلماذا لا يدفع بشار هذه الدِّماء من دم عائلته؟! لماذا تكون له جنَّةُ السُّلطة، ويكون للمقاتلين في سبيله جحيمُها؟! لماذا دفعتُم يا أنصار الأسد حياتَكم ثمناً لأطماعه في البقاء في الحكم وهو جالس في قصره بأمان، وهنا نسأل بكلّ تجرُّدٍ وموضوعيَّة: **من الخاسرُ الأكبر في هذه المعارك؟**

بنظرة موضوعيَّة **نقول لأنصار بشار الأسد الذين يقاتلون نيابةً عنه:** إنَّ الخاسرَ الأكبر ليس بشار الأسد بل أنتم، لأنَّكم لا تعرفون أنَّه قد أعدَّ من الخطط البديلة لما سمَّاه بشار الأسد (**اللحظة الأخيرة**) كثيراً من الاحتمالات، ومن هذه الاحتمالات التي أعدَّها أنْ يفرَّ عبر أنفاق محفورة تحت الأرض من قصور الرئاسة إلى أماكن قريبة تابعة له، وفي كلٍّ منها مربضين لطائرتين خاصَّتين موزَّعتين على مكانين مختلفين، وفي حال تدمير المربض الأول يسعى إلى المربض الثَّاني لتحمله طائرته مع أسرته إلى خارج سورية، وبذلك يبقى أنصاره في سورية وحدهم يقاسون الهزيمة والانتقام، لذلك كان على أنصار الأسد أن يعلموا أنَّه يجلس في قصر الرئاسة آمناً في حين يضحِّي بهم للقتال من أجل بقاء سلطته الزائلة، لأنَّهم هم الذين يخسرون دماءَهم كلَّ يوم في سبيل مشروع بقاء سلطته المؤقَّت بعد إخفاقاته، وعلى أنصاره ألَّا يحشروا أنفسهم في الرِّهان على مشروعه الخاسر، إذْ لم أسمعْ في التاريخ كلِّه أنَّ حاكماً بقي في السُّلطة إلى الأبد، وهذا يعني أنَّه سيترك السُّلطةَ يوماً ويتركُكم وحدكم من ورائه للمعاناة الحقيقيَّة، فلا تجعلوا أنفسكم مطيَّةً لهوسه وجنونه في الرئاسة التي سوف يغادرها يوماً شاء أو أبى، واعلموا أنَّ بشار الأسد لو لم يكن خاسراً لما وصلت سورية إلى ما وصلت إليه، ولهذا بدأ الأسد يبحث عن الخلاص بمبادرة (المصالحة مع أحد أقطاب المعارضة) عن طريق التَّرويج لذلك، وقد أسند بشار الأسد إلى مفتي الجمهورية (الحسون) مهمَّة التَّسويق لهذه المصالحة إعلاميّاً وقد شهدنا كلام حسون في محافل النظام السوريِّ وفي الإعلام حول ذلك، ونريد أن نقول له: هذه المعركة ليست – كما سمَّيتَها أنتَ– داحس والغبراء التي لابدَّ فيها من مصالحة، نقول لكَ يا مفتي النِّظام: **هذه معركة حقِّنا وباطلُكم**، كذلك سعى الأسد إلى ترويج هذه المبادرة بصورة غير مباشرة من طريق الشيخ (معاذ الخطيب) وكلُّ ذلك لأنَّ بشار الأسد بات مدركاً أنَّه قد خسر معركته في القضاء على الثَّورة منذ ثلاث سنوات ونصف، وأدرك أيضاً أنَّه لن يستطيع القضاء على الثَّورة عسكريّاً فسعى إلى لعبة خبيثة جديدة هي (**لعبة المصالحة**).

إلى أنصار الأسد الذين يقاتلون بالنيابة عنه نقول: انظروا إلى أيِّ هاوية يقودكم وإلى أيِّ مستقبل مظلم يقود أولادكم، إذ لا مصلحة لكم في محاربة الشعب لأجل حاكم سيزول يوماً، **أنتم من يدفع كلَّ يومٍ فاتورة بقائه في السُّلطة، إنَّ هذا الرئيس البائس يتاجر بدمائكم كلَّ هذه السنوات من أجل سلطةٍ حتماً ستزول، ومن أجل كرسيٍّ سوف يتركه يوماً.**

ماذا تأملونَ من رئيسٍ دمَّرَ سوريَّة وفكَّكَ كلَّ روابطها الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة وجلس في قصره خائفاً، ما الذي يرغمكم على أن تكونوا وقوداً لبقائه في السُّلطة؟! وأنتم تعرفون أنَّه لا استطاع –كما وعدَكم– أنْ يقضي على الثورة، ولا هو استطاع أن يصونَ دماءكم التي تراق رخيصةً كلَّ يوم من أجل كرسيِّ الرئاسة، وأنَّه جعلكم مُرْتَهَنين بأحلامه في ذلك الكرسيِّ الذي لم تجلسوا عليه يوماً، بل

جلسَ عليه آل الأسد وآل مخلوف فقط، لقد سعى بشار الأسد إلى المحـــافظة على مُلْكِهِ بدماء شبيحته التي ذهبت إلى الآن هدراً، وستبقى تُهْدَرُ كلَّ يوم، إن بشار الأسد لا يدوم، والسُّلطة لا تدوم في الدُّنيا لأحد من البشر، لكنَّ الشعب يبقى إلى أن تقوم السَّاعة، والحاكم يضحِّي بكلِّ شيء من أجل سلطته، حتى إنَّه **عند هزيمته يضحِّي بأنصاره** أيضاً، وحوادث التَّاريخ شاهدةٌ على ذلك في تواريخ القادة النازيين الفاشلين مثله.

أمَّا هذا الشعب السوريُّ الثائر فلم تَعُد الحياة تعني له شيئاً من دون مشروع الكرامة، ولم تفلحْ كلُّ أساليب بشار الأسد الهمجيَّة بدءاً من القصف بالهاون إلى صواريخ سكود إلى الكيماوي أن تقف في وجه طموحه إلى الانعتاق من ربقة هذا النازيِّ الفاشيِّ الذي قتل الوطن، وها هو الشعبُ صامدٌ، كأنَّه يُولد كلَّ يوم أشدَّ عزيمةً وإصراراً على الرَّغم من كل أصناف الوحشيَّة التي يتعرَّضُ لها، والتي أثبتت التجربة أنَّها لم توقف الثورة بل زادتها اشتعالاً.

مسار الثورة بين التوحيد والتفتيت
مبادرات توحيد الفصائل.. والهدن المحلية

نبيل شبيب

زعزعت الشهور الأولى من الثورة أركان " النظام " في سورية، فلجأت بقاياه إلى مواجهة الإرادة الشعبية المتفجرة.. عبر ممارسات همجية معروفة عن الحقبة الأسدية، أهمها:

1- العنف الهمجي ميدانيا لترهيب الشعب الثائر.

2- الغدر المعيشي حصاراً لإضعاف الإنسان الثائر.

3- زرع الفتن لتمزيق وحدة الوطن الثائر.

4- دعم انتشار ممارسات تشوّه مسار الثورة.

5- اعتماد هذا التشويه لاستعادة دور "أسدي" خارجي مع استعداء القوى الخارجية ضد الثورة.

6- الإسهام في نشر الفوضى «الهدامة» إقليميا للمساومة مع الهيمنة الدولية.

8- تفتيت جسد الثورة عبر «هدن محلية» بعد الانفراد واقعيا بالجيوب الثورية. . . .

يوجد حالياً بعض البوادر لاستعادة الثورة فعاليتها، ومن ذلك جهود جديدة لتوحيد فصائلها الرئيسية، ووضع صيغة مشتركة لرؤيتها وتطلعاتها المستقبلية، والمفروض أن تتجاوز هذه المبادرات حدود محاولات سابقة، لم تسفر على أرض الواقع -بغض النظر عن الظروف والنوايا- عن أكثر من تجمعات تحمل أسماء جديدة وبعض التفاهمات، دون أن تصل إلى مستوى وحدة هيكلية اندماجية وقواسم مشتركة للعمل، بحيث تنطوي على تحركٍ موحدٍ فعال. لا تواكب مثل هذه المبادرات متطلبات مسار الثورة إن أغفلت ما يشهده من مستجدات على أرض الواقع، سلباً وإيجاباً، ومن ذلك على سبيل المثال في الوقت الحاضر إغفال ضرورة الربط بين المبادرة الجديدة وبين مواجهة مساعي بقايا النظام لتفتيت جسد الثورة، فلا بد من إزالة خلل اختلافات قائمة حول كيفية مواجهة داعش وأفاعيلها، ولا بد أيضا من إيجاد نهج مشترك للتعامل مع مساعي بقايا النظام لهدن محلية. إن النجاح في الفترة المقبلة من مسار الثورة مرتبط إلى حد بعيد بمدى التكامل بين توحيد العمل الثوري لتصعيده، وبين مواجهة مساعي التفتيت للحد من مفعولها، فالتصعيد الثوري ممكن عبر توحيد القوى الثورية «اندماجاً.. وتصوراً» ولكن يتعرض لخطر كبير إذا نشأت ثغرات في الجسد الثوري لهذا التصعيد، وهذا بالذات مما تسعى بقايا النظام لصنعه عبر هدن محلية «اضطرارية» منفصلة عن بعضها بعضاً. لا حاجة للتأكيد بهذا الصدد على رفض أي تهوين من شأن احتياجات أهلنا في مواضع الحصار والقصف، ولا من شأن أوضاع الصامدين في الدفاع عنهم محليا، ونعلم أن هذا وذاك معا هو ما يصنع القرار بالإقدام على هدنة محلية أو رفضها. بالتالي.. ينبغي أن تتضمن مبادرة «توحيد القوى الثورية» واجب تقديم أقصى ما يمكن لمنع تفتيت جسد الثورة عبر الهدن المحلية، فكل خطوة اضطرارية هنا تؤدي إلى ضعف مفعول توحيد الجسد الثوري، وإن جمع الفصائل الثورية الكبرى. والله غالب على أمره.

الأحبة يغتربون

تثور بداخلي مشاعرُ متناقضة، بين الأمل والفتور، بين الإرادة التي كانت تعانق حروفي وتبدو واضحةً في سطوري، وبين انفصالٍ عن ذاتي تلك، أعيش الغربة بكل ما تحمله الكلمة من المعنى... غربة الأفكار... غربة الأصدقاء... غربة الأبناء... وغربةٌ أكثر توغلاً وإيلاماً لنفسي وحروفي على السواء... الأحبة يغتربون... البعض منهم غاب.... وحكايتي مع الغياب كالخرافات تبدأ وكالأساطير تنتهي، والبعض يفقد صدق التواصل، حالةٌ اجتماعية لستُ وحدي من يقاسيها، وحدها السطور تبقين حياً في زمن الموت، حتى المدينة التي أحببت تتلاشى صورها القديمة من مخيلتي، وترتسم أطلالها، مسيطرةً على مخيلتي، فاللوحة العتيقة المعلقة على جدران حائط المنزل، لبيوتاتها القديمة تكاد توحي هي الأخرى بالخوف... خوفاً من القادم، خوفاً من الفراق، خوفاً مما يحيط بي، تراها ثورة الخـــــــــــــوف، أم ثـــــــــــــورة علـــــــــــــى الخـــــــــــــوف؟

لو مررت في وريقاتي لم تكد تجد إلا باباً موارباً للحب، لكن الأيام تفرض نفسها، ويفرض تبعثري عن المجتمع أثره، اعتقد أني في حالة صحوةٍ ومحاكاة الضمير، ربما أحاول فتح الأبواب المغلقة، والعودة لأخذ مقعدي الذي غادرته، هرباً... نعم، هرباً من المواجهة، أنا الذي اعتقدت يوماً أن المواجهة تواجه فقط بالحب، لأجدني ضعيفاً في زمنٍ تحكمه سلطةُ الأقوى، وقانون مختلف، حتماً هروبي كان من عوامل اليأس التي انتابتني فجأةً حتى سلمت سلاحي وتهاويت مع وقع الضربات... لكن قطعاً هناك بعض الدوافع التي استطاعت انتشالي من هاوية التيه والضياع، لملمت شتات نفسي، وتوغلت في العزف على وتر الكلمات، أغني للكرامة، وأداعب المشـــاعر، أوقـــظ الأشـــجان في داخلـــي حـــروف اســـتنهاض، وأرفـــع الهمـــم ألويـــةً توحـــد الله أفعـــالاً، لا كلمـــات... !! وبين الضياع واليقظة، يحكمني قوتان، أنا الإنسان السوري الذي ما عرف إلا التوحد والتلاقي واستشعار هموم أمته... تراه بعض الصفات التي نبتغيها في وقتٍ لا يسمع فيه لنداءات الروح بل تسيطر عليه رحى المعارك وأزيز رصاصها؟ أم تراها حال السوريين، غربة وغياب، قوةٌ وأمل، حال البعض هكذا وحال آخرين هكذا، وانتقالٌ من حالٍ إلى حال... وتدور الأسئلة، وتبقى بلا إجابات، إذ ما عاد أحدٌ منا يهتم بالتفكير، ما عاد المجتمع يحلم أحلامه البسيطة، وتحولت المبادئ مطامع، والثورة مصانع ثروة، اغترب الحلم، لكنه وإن شد الرحال فهو في نفوس الكثيرين ينضج مع الأيام، وبعض الدماء تحوله لمساره الصحيح، وتصبح الأرواح التي شهدت معارك استرجاع الحب والكرامة رايةٍ، تسلم لجيلٍ تلو جيل، ينتهي عمل من سبقنا، ويرحل دون أن يغلق الباب في وجه أحلامنا... الغريب أن الدماء ترسم ملامح مميزةٍ للغد، وتصبح

المشاعر نقطةً فاصلةً لا منعطف تناقض، وتنهض الإرادة بالفتور، ننسى الأشخاص لا بقصد نسيانهم، نتسامى على الجراحات بالإرادة، ويحركنا دافع الرغبة بالارتقاء نحو وعد الله... فلا نعترف بالهموم، ولا نعترف بالسدود والموانع، ووحده الخوف من نقدمه قرباناً على عتبات الكرامة، ووحده تاريخنا بالحب للخير والبذل يرسم لنا النور، نور مستمدٌ من معاني الدستور الذي يعتبر غيابنا عن معانيه والعمل به هو الاغتراب الحقيقي بل هو الموت بذاته... نور كتاب الله، ذاك النور الأصيل الذي يبدد الشكوك ويردم الهوة ويقمع الخوف من داخلنا... فهل يتحول الشك الذي بداخل البعض يقيناً إذا استظل بظله وعرف الطريق إليه؟ ليس سؤالاً ما أطرحه لكنه رغبةٌ للتعلق بحبله المتين، والتعامل مع إحساسنا الصادق الذي قادنا لثورتنا قبل دخول المشاحنات وضياع المبادئ، قبل ضياع الهدف... قوتان نحتاجها في زمن الضعف... قوة الاتصال بالله، وقوة الإحساس والثقة بالآخر.

إلى رحمة الله.. معتصم

دور الشباب في ثورة الشعب السوري أساسية بل هي الركن المتين الذي قامت عليه، من درعا إلى دمشق وريفها، كما في حمص وحماة، وغيرها من المدن السورية، فعلى فكر هؤلاء الشباب، وبسواعدهم، يقارع السوريون نظاماً مستبداً عجز عن التصدي له الآباء طيلة العقود الطويلة التي مضت، وليكتب الربيع العربي من دماء ربيع شبابنا وخيرتهم، وبشهادة من عرفهم عن قرب وتعامل معهم.

معتصم رحمه.... نحسبه من أولئك الذين انتفضوا ورفضوا الذل والعبودية، التي حاول نظام الأسد غرسه في عقول الشباب، بدءاً بالمناهج الدراسية إلى ما كان يبثه من أفكار في إعلامه، لكن محاولات الأسد الأب والابن جاءت على عكس ما يشتهي، ولكم تحدثنا عن الشباب في صفحاتنا هذه، وعن دورهم ومكانتهم، والتاريخ لن ينسى معتصم ورفاقه الذين ساروا على نفس الطريق.

في الثالثة والعشرين، في ربيع العمر يشارك في بداية الحراك الثوري في المدينة، وبصورةٍ سرية آنذاك ليبقي لنفسه مقدرة النزول إلى العاصمة والتحرك بحرية والمشاركة في حراك العاصمة السلمي، وما إن ينتهج نظام الأسد سياسة البطش واستخدام السلاح في مواجهة المدنيين، حتى يأخذ الشاب دوره، على الأرض، ويسعف الجرحى.

مع بداية قصف المدينة ونزوح أهلها يبقى معتصم فيها يبحث عن سلاح يحمي به أرضه ويجاهد في سبيل الله فلا يجد حتى يخرج مع من خرج بعد الحرب التي شنت على المدينة وشردت أهلها .

ثم تتغير أقداره ويتوجه نحو الغوطة ويقاتل في ساحات جهادها وينتقل إلى حي جوبر ثم يبرود والقلمون فيكون له في كل جبهة من الشام وريفها نصيب .

يعود إلى قدسيا بعد عامٍ من اقتحام جيش الأسد لها وحلمه أن يذهب للجهاد في أرض البطولة حمص.

وتشاء الظروف أن يسعى لمغادرة البلاد، وليعتقل في الهجرة والجوازات بتاريخ 20/1/2014 وبعدها بعدة أشهر يصل لذويه نبأ استشهاده بتاريخ 29/7/2014.

معتصم غادر شاباً، وبقيت ذكراه ماثلة في ذاكرة من عرفوه وأحبوه، ونحسبه عند الله شهيداً... رحمه الله وتقبله في عليين.

شهداؤنا في الذاكرة دوماً ..لن ننساكم حتى نلحق بكم

كاريكاتير العدد